

التعليم الأولي يفتقد مقررات ومراجع رسمية

الوزارة سجلت تعددا شديدا للبرامج الدراسية دون أن تتخذ تدابير للحد منه



بيت القصير

هي فوضى

عبد الكريم مفضال

أعاد قرار وزارة التربية الوطنية إغلاق المدرسة العراقية بالرباط إلى الواجهة، إشكالية المناهج والمقررات الدراسية المعتمدة في مؤسسات التعليم الخاص، وأحيا من جديد الأسئلة القديمة - الجديدة التي ظلت تثار بشأن توحيد التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية أو ما صار يسمى الإنصاف.

لا يهمننا الخوض في النقاش حول مدى سلامة القرار الوزاري، باعتبار المسألة هنا ذات خصوصية وتتداخل فيها جملة من المؤثرات والخلفيات، بقدر ما نطمح إلى لفت الانتباه من جديد إلى الفوضى التي تسود التعليم الخصوصي، من حيث مناهجه وبرامجه وكتبه المدرسية ومقارباته البيداغوجية المختلفة والمتضاربة، والمتناقضة أحيانا مع الفلسفة والسياسة الرسميتين في قطاع التربية الوطنية، والتعليم المدرسي تحديدا.

وإذا كان أغلب المتتبعين للشأن التعليمي لا يختلفون كثيرا في اختيارات بعض الآباء لتوعية التعليم الذي يريدهون لأبنائهم، من قبيل الخدمات التعليمية التي تقدمها مؤسسات البعثات الأجنبية (فرنسية، ألمانية، إسبانية، أمريكية...)، سيما أن الأخيرة مقننة ومؤطرة باتفاقيات خاصة وواضحة، فإن الأمر يثير الاستغراب عندما يتعلق بمؤسسات تعليمية مغربية مرخص لها من قبل وزارة التربية الوطنية، لا تلتزم بالمناهج الرسمية ولو في حدودها الدنيا.

لقد نص القانون الأساسي الصادر في سنة 2006، والمنظم لقطاع التعليم الخاص، على إجبارية التقيد والالتزام بجدع مشترك من المعارف والمهارات والقيم، والأخيرة هي بيت القصير، من قبل جميع مؤسسات التعليم الخاص التي ترخص لها الوزارة الوصية. غير أن معارضة الواقع الميداني للقطاع، وآباء وأولياء أمور التلاميذ أكثر دراية بذلك، توضح بجلاء زيفا كبيرا عن هذا المقتضى، سيما من قبل المؤسسات التي تستقبل متعلمين من أبناء الفئات الوسطى والميسورة، تحت مبرر أن الآباء هم من يرضون نوعية الخدمات التعليمية التي يرونها الأنسب لأبنائهم، والتي تؤهلهم إلى ولوج سوق الشغل من أوسع أبوابه!

ومن هنا تكثر المنزقات، خصوصا على مستوى القيم الدينية والأخلاقية، إذ يتنافس بعض أرباب التعليم الخاص على استيراد أرقى وأحدث الكتب المدرسية الأجنبية، التي رغم قيمتها البيداغوجية والمعرفية، فهي بالمقابل تمرر قيما وسلوكات وأنماط ثقافية ترتبط بحضارات بعيدة كل البعد عن واقع المتعلم المغربي، ومن هنا أيضا يتم إنتاج هذا الخليط من النماذج وسط المتعلمين، والذين يضلون طريقهم بين متاهات الحدائث والعلمنة والمعاصرة من جهة والتقليد والسلفية والانغلاق على الذات من جهة أخرى، إذ لا ننسى أن هناك مؤسسات تناسلت في الآونة الأخيرة تربي الأطفال منذ الحضنة على الوعد والوعيد والترهيب. إن الخاسر الأكبر في ظل هذه الفوضى هو الوطن.

انتقادات لاذعة لمضامين مراجع التعليم الخصوصي

إن أهمية الكتاب المدرسي وخطورته تجسد في أنه يمر عبر محتوياته ومضامينه قيما ومبادئ معينة، يتشربها المتعلم على المدى المتوسط والبعيد، وتلعب دورا رئيسيا في تكوين شخصيته وتحديد هويته انطلاقا من تصرفاته الأدائية والوجدانية والعلمية.

وإذا علمنا أن نسبة كبيرة من الكتب المعول بها بالمؤسسات الخصوصية وفي مدارس البعثات الأجنبية، التي يشكل المغاربة بها أغلبية المتدربين، كتب أجنبية محملة بقيم وأبعاد فكرية وعقائدية واجتماعية مختلفة، نعلم أننا نعمل على تنشئة أجيال المستقبل تنشئة لا تطابق قالب الحضاري لمجتمعنا، وتفقر كذلك للبنىات السوسيو ثقافية التي تضمن التعاطي الإيجابي مع مفهوم المواطنة وحقوق الإنسانية.

وفي هذا السياق، وجه عدد من المهتمين بالشأن التربوي بلجنة، كثيرا من الانتقادات اللاذعة لمضامين بعض النصوص التي تحملها الكتب المقررة في مدارس البعثات الأجنبية، وتستعملها العديد من المؤسسات الخصوصية من أجل التمييز، أحيانا يكون مقصودا وأحيانا أخرى تتحكم فيه العوامل التجارية، وركزوا بالخصوص على كتب بعينها نظرا لما تعرفه من انتشار واسع بهذه المؤسسات ومستوياتها التعليمية.

ولتكيد ذلك، ذكرت مصادر «الصباح» أن هذه الكتب تتضمن بين طياتها محتويات بيداغوجية ذات طبيعة كحائية، كخرافات من التراث الإفريقي النسمة بالنظرة الاستيعابية، التي تعالج النص بطريقة دونية لا تظلم من خلفية استعمارية، إذ تشبه الإنسان الإفريقي بالحيوانات التي تقتات من الصيد وافتراس الطرائد، وذلك بطريقة محيكة لا يفصح عنها النص إلا غمزا، بينما تنقلها الصورة المصاحبة بوضوح تام، لأن الصورة أكثر إيجابا، وتأثيرا على مستوى اللاشعور وبناء التمثلات بالنسبة إلى صغار السن. كما أن معظم النصوص، تضيف المصادر، تكرر فيها شخصية «بابا نويل» أو «سانتا كلوز»، وتأخذ حيزا كبيرا من خلال محور أعياد رأس السنة المسيحية بامتداداتها الدينية والعقائدية، التي لا علاقة للطفل المغربي بها لا من قريب أو من بعيد، سيما في هذه السن المبكرة، التي تبني فيها شخصية الطفل ورؤيته إلى العالم، خصوصا حين يطلب منه في بعض التمارين التطبيقية كتابة رسائل إلى هذه الشخصية الهلامية، التي تكرر حكاياتها تقاليد وعادات غريبة عن ثقافتنا ومجتمعنا بصفة عامة.

هذه الكتب، ودائما بحسب المصادر نفسها، تحمل أيضا نصوصا ذات بعد سياسي كص يسرد حكاية هاربة من النازية، وأخر يحكي تدخل قوات الناتو في البوسنة، وهي نصوص ومحاور إيديولوجية تمرر مضامين فوق سن التلميذ المغربي، الذي لا شك أنه مرتبط بسياسات وطنية وعربية، كالكفزية الفلسطينية مثلا.

والأغرب من ذلك، وأنت تصفح بعض هذه الكتب، تصادفك نصوص تتحدث عن الخمر وطرق تصنيعها وتقييمها وكيفية شربها، وهي طقوس تدخل تحت مظلة المجتمعات الغربية، إذ يتسائل المصدر عن ما هي الدروس التي يمكن أن تقيدهم الطفل المغربي في معرفة الدورة التي يمر منها العنب حتى يصبح خمرًا؟

وتختم المصادر ملاحظاتها بالقول إنه «إذا كان من الطبيعي أن يتوفر كل شعب وأمة على ثقافته وتراثه الخرافي والشفاهي، فإن كل تراث له طبيعته وتربيته التي نشأ فيها، وهو ما يؤكد أن تراث التلميذ المغربي مختلف عن طبيعة ما يقدم إليه، ومغاير تماما لما يعيش فيه، وبالتالي يمكننا أن نؤكد أن الطفل المغربي لا يمكن أن يجد نفسه في مثل هذه الكتب».

من جهتها، أكدت لطيفة الركاني، مديرة مؤسسة محمد الفاتح الخصوصية بلجنة، أن المدرسة التي تشرف عليها تعتمد في مقرراتها اللغوية كتابا أجنبية، خصوصا في التعليم الأولي والابتدائي، وذلك بتزكية من المسؤولين في المصلحة التربوية الإقليمية، وبموافقة آباء وأولياء التلاميذ المتدربين، الذين يعتبرون هذه الكتب دعامة أساسية لأبنائهم، ويرون فيها الفارق بين المدارس العمومية والخصوصية. وذكرت الركاني أن إدارة المؤسسة تحرض، بالتنسيق مع هيئة التدريس والأطر المشرفة على التدريس، عند إقرارها لأي كتاب مدرسي، التحقق من مضامينه ومحتواه، وتعمل على إلغاء النصوص التي تتعارض مع القيم الوطنية، وتتصرف عن المبادئ العامة للمنظومة التعليمية المغربية المتوافق بشأنها، في إطار الميثاق الوطني للتربية والتعليم.

وقالت المديرية إنه «يجب أن يعلم الجميع أن القطاع الخاص تتحكم فيه المنافسة بشكل قوي وخطير، إذ أصبحت كل المؤسسات مضطرة لاعتماد إستراتيجيات تربوية معينة، إن هي أرادت فعلا المحافظة على الاستمرارية، لذا، نجد أن أغلب المدارس الخاصة تعمل على اختيار المناهج والكتب التي ترى أنها مفيدة، وتولي اهتمامها بالوسائل التعليمية المتطورة كالسبورة الإلكترونية واستعمال المعلومات، لتضمن لتلاميذها تعليما بمستوى جيد في جميع النواحي المعرفية والسلوكية، وتضمن لنفسها في الوقت ذاته البقاء والتفوق».

من جهة أخرى، أوضح مسؤول بناية التعليم بلجنة، أن جميع المدارس الخصوصية الموجودة بالمدينة تشرف عليها المصالح التربوية بالنيابة والأكاديمية والوزارة، وتخضع مناهجها وأدائها التعليمي للرقابة والمحاسبة، ويمكن أن تتعرض إلى عقوبات قد تصل في بعض الأحيان إلى الإغلاق والغاء الترخيص.

وقال المسؤول، الذي فضل عدم ذكر هويته، إن «كثرة المدارس الأجنبية والخصوصية بلجنة، يعكس التنوع البشري والثقافي الذي تعرفه المدينة، التي عاشت منذ القدم انفتاحا على مختلف الأجناس والديانات والثقافات الإنسانية، إلا أن ذلك لا يمنع من تطبيق كل القوانين الجاري بها العمل في بلاننا، التي ترمز كل المؤسسات الخاصة بالتدريس وفق المناهج والمستويات المعتمدة في المدارس الحكومية، وترفض كذلك كل عمل يتعارض مع القيم والمبادئ الوطنية، أو يدعو إلى العنصرية وبث الفرقة أو التبشير».

المختار الرمزي (طنجة)

للتشكيل سيروية تربوية منسجمة، مدتها ثمان سنوات. وتتكون من السلك الأساسي الذي يشمل التعليم الأولي، وستين من الابتدائي، سميت بالمدرسة الأولية مدتها أربع سنوات، ثم المدرسة الابتدائية التي تتشكل من أربع سنوات أخرى. وتتجلى أهداف مرحلة التعليم الأولي، الذي يلتحق به الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات كاملة وست سنوات خلال عامين، من منطلق الميثاق الوطني في تيسير الفتح البدني والعقلي والوجداني للطفل وتحقيق استقلاليته وتنشئته الاجتماعية من خلال تنمية مهاراته الحسية الحركية والمكانية والزمانية والرمزية والتخيلية والتعبيرية، وتعلم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية الأساسية، وكذا التمرن على الإنشائية العملية والفنية (الرسم والتلوين والتشكيل للبرامج والمناهج)، وأنشط لهذه اللجنة الدائمة التي يسهم فيها متخصصون في التربية والتكوين ونوؤ الخبرة في مختلف التخصصات والشعب والقطاعات، الإشراف على سير أشغال هذه المجموعات والمصادقة على نتائجها.

محمد إبراهيمي (أكادير)

الذي يطمح إلى تنظيم 390 ألف يوم توكيني لفائدة المربيات والمربين العاملين بالقطاع، في غياب أية برامج ومناهج وكتب دراسية رسمية تخضع للمواصفات المطلوبة، مصداق عليها من قبل «اللجنة الدائمة للتجديد والملازمة المستمرين للبرامج والمناهج»، وتخضع لدفتر تحملات مدرس ومحدد سلفا كما تم العمل به بباقي الأسلاك التعليمية. وكيف سمحت الوزارة لنفسها أن تقرر فتح 3.600 حجرة دراسية للتعليم الأولي في المدارس الابتدائية العمومية، وتدرس ما يقارب مليون طفل في التعليم الأولي إلى حدود 2012 وتنظيم التكوين الأساسي الخاص لفائدة 3600 مرب ومربية، وتوفر تاطير أفضل لقطاع التعليم الأولي بتعبئة 250 مفتشا، دون الحديث عن اتخاذ قرار مواز يرمي إلى تطبيق القانون في ما يتعلق بمراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية والوسائط التعليمية بالتعليم الأولي، خاصة أن مزيد من 45 برنامجا ومنهاجا تطبق بمؤسسات التعليم الأولي بالمغرب، كلها لم تخضع لدفتر تحملات معد من قبل اللجنة المختصة. وكانت الحكومة قررت دمج التعليم الابتدائي والأولي

الناشرين وفق دفتر التحملات، إسوة بباقي برامج الأسلاك التعليمية الأخرى. وسجلت وزارة التربية الوطنية ومصالحها الخارجية، خلال تشخيصها لوضعية التعليم الأولي، الذي بنت عليه برنامجها الاستيعابي، شدة تعدد المناهج الدراسية في التعليم الأولي، غير أنها أغفلت أو تناسلت في تدابيرها المتخذة وطنيا وجهويا ما يتعلق بهذه البرامج والمناهج التي حصرتها التكوين في 15 برنامجا مغربيا باللغة العربية و15 آخر باللغة الفرنسية، إضافة إلى عشرة برامج ومناهج تعليمية إضافية مستوردة من أوروبا والشرق الأوسط دون مراقبة أو فحص لمحتوياتها ومضامينها وقيمتها وأهدافها. ويلاحظ أن أغلب البرامج والكتب والمراجع المتداولة في السوق لا تشير، وفق الأخلاق والأعراف المهنية، إلى أسماء المؤلفين أو اللجنة التي سهرت على إنجازها، الشيء الذي يطرح عدة أسئلة حول الإمانة العلمية ومصادر المعلومات ومصداقية ما ورد فيها.

وإذا كانت التوجهات الأساسية المحددة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، جعلت من تعميم التعليم الأولي لفائدة الأطفال ما بين 4 و5 سنوات هدفا رئيسيا لإصلاح المنظومة التربوية، فإن مختلف التدابير التي اتخذتها الوزارة منذ بداية إجراء هذا الميثاق وعلى مدى تسع سنوات، فشلت في تحقيق أهدافها، ولم تشمل الجوانب النوعية المرتبطة بالبرامج والمناهج والكتب المدرسية التي ظلت تسع سنوات خارج أجندة الوزارة، تاركة دور النشر تتنافس في اجتهاداتها لكسب السوق. وسجل المتتبعون تهميش برامج ومناهج وكتب ومقررات التعليم الأولي من مسطرة التعاقد التي تمت مع

استثمار آمن
245.000DH

جنان النواصر الدروة

متعة العيش في محيط فريد لسعادة أسرتك

فضاء جديد في محيط عيش هادئ و مؤمن، بالقرب من الدار البيضاء وعلى الطريق المؤدية إلى المطار، تقدم لكم فضاءات السعادة، جنان النواصر.

في جنان النواصر، كل المرافق الضرورية للعيش مجهزة وحاضرة لتوفر لكم راحة أكيدة، ومتعة الحياة التي تحتاجونها، مدرسة، مركز صحي، فضاءات خضراء وفضاءات للرياضة، متاجر والعديد من المرافق الأخرى

فضاءات
السعادة

نخطط لسعادتك

05 22 99 10 45 - www.espaceaada.com